﴿ القسم العلمي ﴾

نظام الحب والبغض — تابع ويتبع

(حب القوة ، والروابط التي تحدث القوة)

إذا رجعنا الى الأصل والمبدأ في تاريخ كل شيء نصف به أعيان الكائنات نجد ذلك اما العدم المحض واما ذرة لا تذكر في جنب ما صارت اليه .

والانسان واحد من هذه الكائنات الباهرة . فاذا أخذنا الآن لنظر نا ارقى فرد من أفراده ووصفناه بما هو أهله من العلم واعتدال الخلق والخلق وصحة الإرادة وقوة العزيمة وما يتبع ذلك من الفروع التي هي اجزاء التكمل فلا بد من ان نحار ونتشي في دهشة . وخليق بالأفراد الكاملين ان يحيروا الأفكار . ولكن اذا راجعنا تاريخ هذه الأجزاء التي حصل بمجموعها ذلك الكمال يجب ان يزيد اندهاشنا حين لا نرى لها وجوداً في الأطوار والأدوار الأول من حياة هذا الحيوان الناطق

نجد علمه الباهر يرجع الى عدم العلم اذ « خلق الانسان جهولاً » . وقوته الرائعة ترجع الى عدم القوة اذ « خلق الانسان ضعيفا » . وبالجملة يرجع اعتدال خلقه وخلقه الى لاشيء لانه كان جماداً . بل لم يكن شيئاً مذكوراً . واين النسبة بين البشر السوي ، العليم القوي ، وبين الجماد .

والتصوف بموضوع نفس الانسان هو بيان تدرجه في كل جزء من الاجزاء التي يكمله اجتماعها ولذلك كان من غرضنا في هذا الفصل الكلام في أعظم جزء من تلك الاجزاء وهو القوة . وقسمنا الكلام الى ثلاثة أبواب : في الأول نعرف القوة ونقسمها ونتكلم على حب الانسان لها وسببه . وفي الثاني نبين كيف حدثت القوة للانسان ونتكلم في الروابط الثلاث : رابطة الاديان . ورابطة الاجناس ، ورابطة الحكومات ، وهو اهم الابواب . وفي الثالث نذكر ما يحفظ القوة وما يضيعها . وهو صفوة الكلام في هذا المقام .

— (١) — القوة —

القوة فاعل دوائر . وهي بأنواعها منبثة في كل الموجودات الحسية والغيبية . ويعبر عنها بحسب اختلاف الموجودات واختلاف الاصطلاحات بعبارات شتى كما يعبر

عن موجود ما بحسب اختلاف اللغات بألفاظ شتى . وأكثر مايكون الاختلاف في التعبير عن قوى الموجودات الحسية والتعبير عن قوى الموجودات الغيبية . وقد نسمي قوة حسية روحا . وبهذا الاسم نسمي قوة غيبية . وقد نسمي في المحسوسات ملكة. وفي الغيبيات ملكا . ولا يعلم جنود الخالق الا هو .

ـ أقسام القوى البشرية ـ

قبل معرفة قوانا وأقسامها يجمل بي وبكم ان نترنم بكلمة سواء بيننا وبين البشر اجمعين ليستقيم بها سيباتنا في العلم . وتقرب غايتنا في العمل.

ان القوة الحقيقية هي للخالق وحده، وهي القوة التي لم يسبقها ضعف، ولن يلحقها ضعف . وهي قوة التصرف ببدء المبروآت وتصويرها ونظم شؤونها ومنح خواصها بسائط ومركبات . وهي القوة المقدسة من كل شوب . المادّة (أي مانحة المـدد) لكلّ مصوّر حتى حين .

هـذه هي القوة الربانية التي تخشع لها وحدها قوانا وتتوجه تلقاءها وجوهنا رهبة ورغبة . واليها تطير الجوانح شوقا وهياما . وتحن لها الارواح الواردة من لدنها، وتتسم من كل وجهة إقبال مددها فتحيى برجائها، وتصبر في هذه الدار حتى يأتيها أمرها.

أما نحن فليس لنا من قوة الا ودائع أودعها الباري في خلقتنا لنتغلب فيها على عوالم الارض التي استخلفنا فيها . ثم نتغالب فيها فيما بيننا، لنكون فريقين متضادين، أعلين وأدنين. ومن قبـل سبقت ارادته في الخلق ان يكون لكل مخلوق مقابل، والخالق يفعل مايشاء وهو العليم الحكيم . ولو شاء لجعلنا أمة واحدة . ولو شاء لهدانا أجمعين. ولا يسأل سبحانه عن مشيئته . ولكن عن الودائع تسأل كل نفس ماذا كسبت . فبشرى للذين يحسنون صنعا .

***

أودع الخالق فينا قوى كثيرة . وجعلنا متفاوتين فيها تفاوتا عظيما . فمنا من يرزق قوة منها تشي لها أبصارنا وبصائرنا من خوارق العادة وما هي من الخوارق والتالديه منها فضل عظيم به يصبح مالديننا كأن لم يكن . وقس على الواحدة غيرها .

القوى التي فينا تنقسم الى حسية . وعقلية . وقلبية . أريد بالحسية قوى الجسد .

وبالعقلية قوى الادراك ، وبالقلبية قوى الارادة.

فاما القوى الحسية فظاهرة كظهور الجسد. ولحفظها ماوجدت واستردادها ان فقدت علم خاص من صدد موضوعنا ان نوصي به. وأما العقلية فمعروفة بالتأمل ويعرض لها من الامراض أكثر مما يعرض للقوى الحسية فقسم من أمراضها تابع لطب القوى الحسية. وقسم منها تابع لموضوعنا. وأما القوى القلبية فخفية لا يعرفها الا القليل من الذين في أنفسهم يتفكرون. والذين لا يعرفونها يشوبون فيها الكلام بكثير من الأوهام. ويعرض لهذه القوى القلبية من الأمراض أكثر مما يعرض للحسية والعقلية. وبيانها وعلاجها هو عين موضوعنا.

ـ حب القوة وسببه ـ

حب القوة تابع من توابع حب الذات وهو أعظمها. وله سببان احدهما تابع لسبب حب الذات. والآخر مستقل وهو ان الكمال بأصل الفطرة معشوق للنفس. والقوة جزء من أجزاء الكمال ومرقاة الى أجزائه

ولعل القارئ لم ينس القاعدة التي ذكرناها في باب حب الذات وهي :

« متى كان وجود الشيء لازماً من اللوازم العامة كان طبيعياً. »

فاذا حفظ القارئ هذه القاعدة يبقى عليه ان يمعن النظر « هل حب القوة لازم من اللوازم العامة » ونسعفه الآن بابداء مايدا لنا بهذه المسئلة :

« ان حب القوة لازم من اللوازم العامة » والدليل عليه من الحس والعقل. أما دليله من الحس فلاننا نجده من متممات الحياة. ولولاه لسدت علينا الموادي الكثيرة التي من أيسرها الجوع فاذا نحن هباء في هواء. ولو استقرأنا استقراء تاما لما ازددنا الا تصديقا بهذه القضية. ولنطق لنا كل حي معترفاً بأن هذا الأمر حليف جوانحه كل حين. ولا يريبنكم في هذه القضية فئة ترونهم يسعون في اضعاف أنفسهم من ادامة جوع ومواصلة سهر وموالاة قعود في بيت مظلم واستمرار على صمت أو تكرار حروف وكلمات وما أشبه ذلك من أنواع الاضعاف فان هؤلاء لا يقصدون بصنيعهم ذلك الا القوة. أعني انهم يضعفون القوى الظاهرة ليتوصلوا الى قوى مضمرة (هي من فروع القوى القلبية) لها تأثير في مرضى العقول والقلوب.

وكم استعبد هؤلاء الموهمون الناس بهذه القوى حتى اتخذوهم آلهة بمعنى انهم يفيضون ويصرفون الخير والشر لمن أرادوا وعمن أرادوا متى أرادوا بزعمهم

وفئة اخرى يقلدون هؤلاء عن غير معرفة بالطريق ليصلوا الى تلك الغاية فيشعرهم بالجنون المطبق انهم مفتونون

وأما دليله من العقل فلانا نعرف من كون الانسان اعظم عوالم الارض كونه مخلوقا لامر عظيم. ونعرف من هذا ان القوة لازمة لهذا المخلوق العظيم. ونعرف من هذا ان حب القوة لازم له لاجل تحصيلها لانه مخلوق ذو ارادة تسبق الارادة عمله .

ويمكننا ان نأخذ الدليل العقلي في هذه المسئلة من عين السبب الذي ذكرناه آنفا وهو « ان الكمال في أصل الفطرة معشوق للنفس » ولا نبالي بما يتراءى من شبه الدور فانا طالما عرفنا شيئاً بآخر ثم ازدادت معرفتنا بالاول بواسطة الثاني الذي عرفناه بواسطة الاول وقد يتلازم الشيئان حتى يستدل على احدهما بالآخر . ولنا على هذا الاخير ان نستدل على كون الشيء لازماً من اللوازم العامة بكونه طبيعيا وعلى كونه طبيعيا بكونه لازما كذلك . وللمتلازمين تارة حكم المترادفين كالكلمتي « الطبيعة » و « سنة الخالق » جل وعلا .

ومن كونه طبيعيا أولازماً من اللوازم العامة نعرف انه نافع لانه تقرر ان الاشياء الطبيعية (أي التي اقتضتها ارادة الخالق على سنة مطردة) جميعها نافعة نفعا عاماً . ولكن المرض في العقل قد يمنعه عن ان يرى البعض منها نافعا وقد يضله عن السبيل المستقيم في الانتفاع منها .

فمن ثمة يحكمون بمرض الفطرة على فرد لايحب القوة حبا يحمله على تحصيلها بقدر الطاقة . وعلى أمة تقصر عن غيرها في القوة بمرض عام في تربية أفرادها تلصق اعراضه بكل واحد منهم وان كان بعضهم اشد مرضا من بعض . ويتكون من مجموعها اعراض عامة قاتلة ان دامت .

ـ خلاصة ـ

وقد تبين لكم أمران جديران أن يقيدا في لوح الذهن ذانكم ان : (١) حب القوة (كحب الذات) لازم نافع . وان : (٢) التقصير في حب القوة مرض نفسي

واجتماعي . فان امرؤا تاكم معترفا بمرضه ، مستشفيا من دائه ، فانظروا ماذا ينفعه من العمل ومروه ان يأخذ من العلم مايلزم لاصلاح العمل . وان كان مهملا ولم يشأ ان يعمل عملا صالحا للنفس والمجتمع فانظروا ان تبيده الاقوياء غير مشكور . وان أمة صدت عن النذر ، وكفرت بالسنن ، فالتمسوا منها مخرجا ان كنتم فيها وقوا أنفسكم البوار المون انهم قوم بور .

ع . ز

باب التربية والتعليم

درس عام في العلم الاسلامي والتعليم

العلوم الاسلامية

ومن هنا يمكنني أن أتخلص الى الكلام على حالتنا في تحصيل العلم في جميع بلاد الاسلام وهو موضوعنا فنقول

عندنا علوم شتى نشتغل بتحصيلها ونسميها العلوم الاسلامية وانما سميت بهذا الاسم لان موضوعاتها لها علاقة بدين الاسلام كالفقه وأصوله وهو علم يبحث فيه عن طرق استنباط الاحكام من أدلتها وكعلم التوحيد وهو علم اسلامي يبحث فيه عن وجوده تعالى وصفاته الكمالية ثم العلوم النقلية كالتفسير والحديث واللغة والنحو والمعاني والبيان والبديع وما سمي علم الوضع

ومن هذه العلوم وسائل ومقاصد ونحن مشتغلون بجميعها وسائل ومقاصد . ولا حاجة الى الكلام في تبيين طرق الاشتغال بها عندنا وعندكم . انما الكلام في أمر عام معروف عند الجميع وهو طرق تحصيل هذه العلوم

(علم النحو وتدريسه)

فالنحو مثلا يدرس بتونس بكتبه التي تقرأ بمصر كالقطر والاشموني والصبان وله غايتان . الاولى التمكن من فهم كتاب الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام وكلام سلف الامة . والثانية اصلاح اللسان من الخطأ . نشتغل بعلم هذه القواعد في هذه الكتب ثم نشتغل أنفسنا بالبحث في عبارة المؤلف هل تدل على ماقصده . فقائل يقول نعم . ويأتي قائل آخر يقول لا .